

احفظ الله يحفظك

عباد الله: اتقوا الله وراقبوه، فهو القائل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران] والقائل سبحانه: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ [الحشر] عباد الله: سنقف وإياكم مع مقطع من حديث للنبي صلى الله عليه وسلم، عن أبي العباس عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قَالَ قَالَ كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: يَا غُلَامُ، إني أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ؛ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ [رواه الترمذي]، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. عباد الله: قوله عليه الصلاة والسلام: إني أعلمك كلمات هذا الجمع جمع كلمة- بهذه الصيغة يدل على التقليل، كلمات قليلة، وهذا أدعى لتشوف النفس لملاحظتها ومعرفتها وحفظها، فهي شيء قليل لا يتنقل على سامعه، ولا يحتاج إلى كلفة من أجل حفظه، وهذه الكلمات المذكورة في هذا الحديث تضمنت أصولاً عظيماً، وأساسات لا بد للمسلم من أن يعرفها، وأن يمثّلها في حياته وواقعه، وأن يجعلها أمام ناظره في أموره كلها، ولذا قال العلماء: إن هذا الحديث أصل عظيم في تربية الصبيان وتوجيههم، وكله يدور على تعلق القلب بالله والاتّفات إليه، وقطع الطمع والرجاء في ما عند الناس، وتفويض الأمر إلى الله سبحانه وتعالى، عباد الله: إذا تفكر الإنسان وجال بفكره جولة متأنية حول هذا الحديث لاستخرج كثير من الفوائد التربوية التي تعينه على تربية أبنائه وتصقلهم صقله إيمانية تجعل منهم عطاءً ينفع الله بهم الإسلام والمسلمين، كيف لا وقد ربي النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث عبد الله بن عباس فأخرج لنا عالماً من علماء المسلمين والذي نفع الله بعلمه الكثير الكثير، اسمع إلى وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنه وهو يقول: كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فقال: يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله [رواه الترمذي وقال: حسن صحيح] أخي المسلم: يقول الرسول صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما: احفظ الله يحفظك، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالنبي صلى الله عليه وسلم قال لابن عباس من هذه الكلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله يكون بحفظ حدوده وأوامره، واجتناب نواهيه، الله يقول: حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى [البقرة] وكذلك المحافظة على شرائع الإسلام، على ما أمرنا الله به، فنكون ممتثلين، هذا من حفظ الله، حافظ على هذه الصلاة بما فيها صلاة الفجر، ومن حفظ الله، أن تحفظ جوارحك عن موقعة ما لا يليق، فتشغل هذه الجوارح بما ينفع بدلاً من أن تشغلك، فهذا الإنسان الذي يترك الواجبات أو يأخذ ما ليس له لم يحفظ الله، الإنسان الذي يأخذ المال الحرام، ويساهم في كل مساهمة تعرض له لم يحفظ الله، هذا الإنسان الذي يتكلم بلسانه كيفما اتفق، وكل ما يحظر على باله يقوله، يغتاب الناس ويقع في أعراضهم، وينقل النجاسة، ويكذب، هذا لم يحفظ الله، إلى غير ذلك من ألوان التفریط، احفظ الله يحفظك هذا واجبك، هذه مهمتك وتلك منتهى وفضله، أنت عبده وليس لك ربّ سواه، وهو سيدك ومولاك ونجاتك في رضاه وأنت الفقير إليه، وهو الغني عنك، يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [فاطر] احفظ الله يحفظك: احفظ الله؛ يعني: احفظ حدوده وأوامره ونواهيه، فأوامره بالالتزام بها، ونواهيه بالاجتناب، وحدوده بالوقوف عندها، فمن فعل ذلك فهو من الحافظين لحدود الله الذين مدحهم الله في كتابه جل وعلا؛ بقوله سبحانه: هَذَا مَا نُوَعِدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ مَنْ حَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ [ق] وقال: التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ [التوبة] أيضاً احفظ الله بطاعته يحفظك من معصيته، احفظ الله بأكل الحلال يحفظك من الحرام، احفظ الله بضجة الصالحين يحفظك من الطالحين، احفظ الله في العاجلة والآجلة، احفظ الله يحفظك من كل شبهة وشهوة، من حفظ الله في صباه حفظه الله عند ضعفه وقوته، من حفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى، حفظه المولى سبحانه، فالله خير حفظاً وهو أرحم الراحمين، عباد الله: لقد دلنا هذا الحديث الشريف على ما كان من عناية النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتبليغ رسالة ربه سبحانه وتعالى واعتنائه بتربية الأطفال وتغذية نفوسهم بالعقائد الإسلامية فكان يعقد لهم مجالس خاصة بهم في المسجد وغير المسجد يعلمهم فيها أمور دينهم ودنياهم، ويفرس في نفوسهم حب الأعمال الصالحة لينشؤوا نشأة صالحة ويكونوا علماء بدينهم عاملين بتعاليمه حريصين على حسن أدائها حتى إذا كبروا كانوا مرجعاً لغيرهم يفزعون إليهم في تعلم ما ورثوه هم عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كما كان شأن ابن عباس وغيره من الصحابة الأجلاء الذين كانوا نعم الموثل والملجأ للمسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، احفظ الله يحفظك، أي يحفظك الله في إيمانك، واعلم أيها المسلم أن الله لم يخلقك عبثاً ولن يتركك سدى؛ قال تعالى: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ [المؤمنون] إنما خلقك يا عبد الله لغاية عظيمة، ومهمة جسيمة، ألا وهي عبادته التي هو في غاية الغنى عنها وأنت في أمس الحاجة إليها، وأي شرف أعظم وأي مكانة أرفع من أن تكون عبداً لله. وللحديث بقية إن شاء الله تعالى